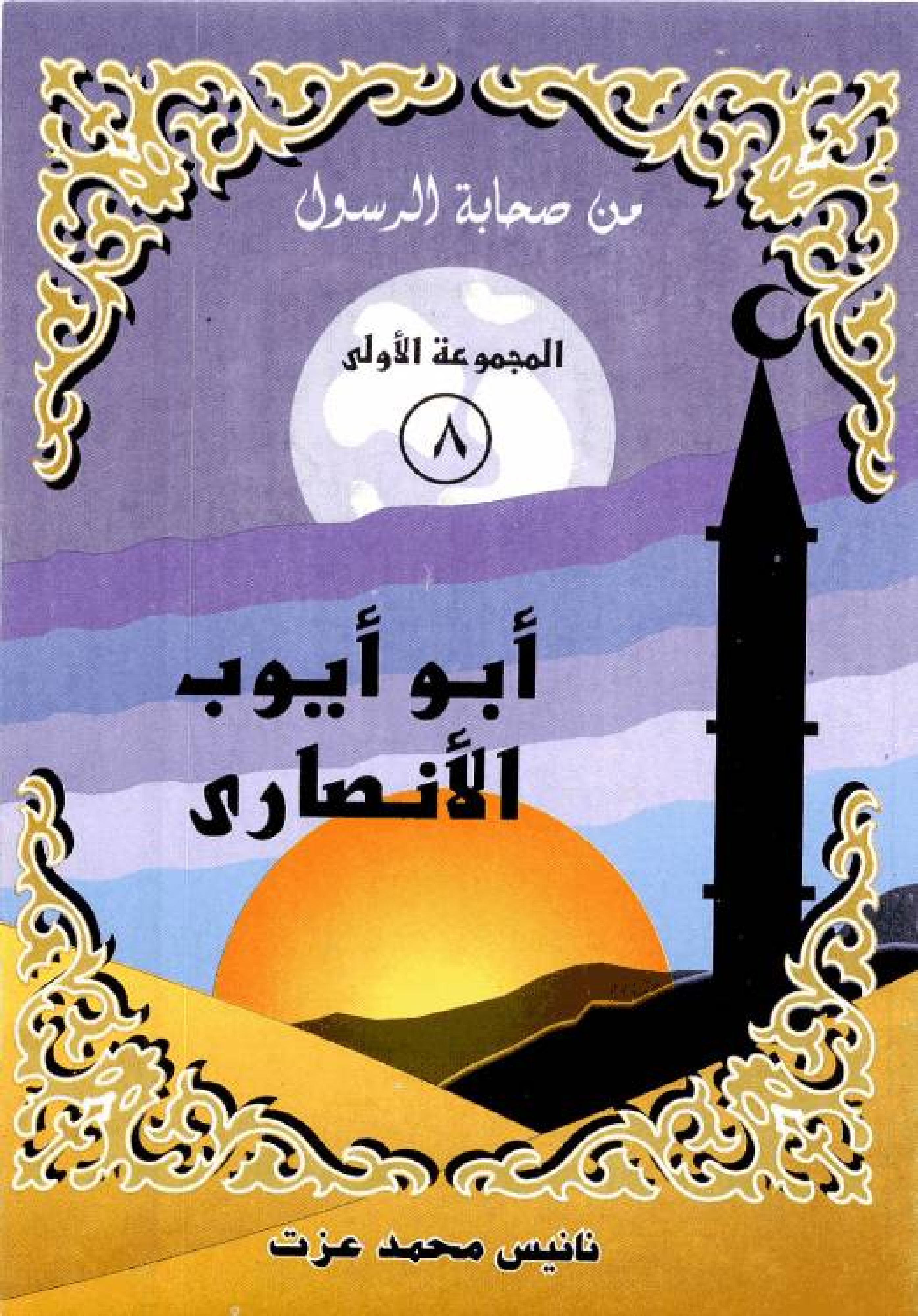

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
٨
أبو أيوب
الأنصارى
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٨

أبو أيوبَ الأنصارى

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

أبو أيوبَ الأنصارى

جلسَ أفرادُ الأُسرَةِ بعدَ العِشاءِ فى حُجرةِ المَعيشةِ يَتسامَرون . قالَ مُصطفَى :

ـ أكمِلْ لنا يا أبى قِصَّةَ هِجرةِ الرَّسولِ ـــ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم ـ فهى قصَّةٌ شائِقَة ، مَليئَةٌ بالمواقفِ الرّائِعَة .

قالَ أبوه : سأفعلُ يا مُصطفَى ، ولكن بعدَ أن يَقولَ لى كلٌّ منكم ما الذى أَعجبَهُ فيما قَصَصْتُه عَليكُم البارِحَة .

قالَ مُصطفى : أعْجَبتْنى شَجاعَةُ سيِّدنا عَلىّ ـ كرَّمَ اللّهُ وجْهَه ـ عِنْدما نام فى فِراش النَّبىِّ ـ صلَّى اللّـهُ عليـهِ وسـلَّم ـ ولم يَخَفْ بطْشَ قُرَيْش . وكذلِكَ موقفُ أبى بَكرٍ الصِّدّيـق ـ رَضِىَ اللّهُ عنه ـ عِندما اختبأَ هـو والنَّبىُّ فى الغار ، مِمّا يدُلُّ علـى حُبِّـهِ الشَّديدِ ووَلائِـهِ للنبىّ .

قالتْ ريم : نعمْ يا أبى ، فقدْ سدَّ أبو بَكـرٍ بثوبهِ كُلَّ الشُّقوقِ الَّتى وَجدَهـا فـى الغـار ، ولّمـا بَقَـى مِنهـا شَقٌّ لم يُسَـدّ ، قـامَ بسَـدِّهِ بجَسَدِهِ ، حتّى لا يُفاجَـأَ النَّبـىُّ بثُعبـانٍ أو

عَقْرَب . وقـد حـدثَ مـا توقّعـهُ أبـو بَكْـر ، وكانَ نَصيبُهُ لَدْغَةً فى جَسَدِه .

قـال مُصطفَى : وقـد أعْجَبنـى كَثيرًا مـا حدثَ لسُراقَةَ بنِ مـالِكٍ ولِحِصانِـه ، عندَمـا حـاولَ أن يَلحـقَ بالرّسـول ـــ صلّـى اللّـهُ عليهِ وسلّم ـــ ودلَّ ذلـك علـى حِمايَـةِ اللّـهِ ـ سُبْحَانَه وتَعالَى ـ لرَسولِه .

قـالَ أبوهـم : حَسَـنٌ جِدّا ، فـأرى أنّكـم اسْتَوعَبتُم مـا قَصَصتُــهُ عليكـم بـالأمس ، والآنَ أُكمِـلُ لكـم القِصَّـة بوُصـولِ النّبـىّ ـ صلّـى اللّـهُ عليـهِ وسـلّم ـ إلَى المَدينـة ،

واسْتِقْبالِ أَهلِ المَدينةِ له بالغِناءِ والتَّهْليلِ والتَّصْفيق .

قالتْ ريم : لقد حَفِظنا في المَدرسَةِ النَّشيدَ الَّذي اسْتَقبلَتْ به المَدينةُ الرَّسولَ ــ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّم ــ إذ يَقول :

طلع البَدرُ علينا
من ثَنِيّاتِ الوَداع
وجَبَ الشُّكرُ علينا
ما دَعا لِلّهِ داع
أيُّها المَبعوثُ فينا
جِئتَ بالأَمرِ المُطاع

قالَ أبوها : نَعم ، فقــد كــانَ أهــلُ المَدينــةِ سُعَداءَ بوُصولِ الرَّسول ـ صلّى اللّــهُ عليــهِ وســلَّم ــ إلَيهِــم ، وتَشــريفِهِ مَدينَتَهــم ، فتَسابَقوا جَميعا ليَأخذوا بزِمام ناقَتِه ، لِيـنزِلَ الرَّسولُ فى ضِيافَتِهم .

فَهــؤلاءِ بَنــو عَــوْف ، وبَنــو بَياضَــة ، وبَنــو ساعِدَهْ ، وبَنو الحــارثِ بــن الخَزرَج ، وبَنــو عَدىٍّ بنِ النَّجار ، كلٌّ مِنهم يُريــدُ أن يكــونَ له شَرَفُ ضِيافَةِ الرَّسولِ ـ صلَّــى اللّــهُ عليــهِ وسلَّم ـ فالكُلُّ يَتسابَقونَ ويَأخُذونَ بزِمــامِ ناقَتِــه ــ صلَّى اللَّــهُ عليــه وسَــلَّم . فكــانَ يَقــولُ لهــم : خَلّــوا سَبيلَها فإنَّها مَأمورَة .

وَتمشى النّاقَةُ فى أنْحاءِ المَدينَة ، وكلٌّ مِنهم يتَمَنّى أنْ يَنالَ شرفَ ضِيافَةِ الرَّسول ، ويَدعو الرَّسولُ رَبَّه : اللّهمَّ خِرْ لى واختَرْ لى . إلَى أن بَركت النّاقَةُ أمامَ دارِ مالكِ بنِ النَّجّار ، ثُمَّ قامَتْ وطافَتْ بالـمَكان ، ثمَّ عادتْ وبركتْ فى نَفسِ مَكانِها الأوَّل .

هُنالِكَ تقدَّمَ أحَدُ المُسلِمينَ فَرِحًا مُستَبشِرا ، وحمَلَ رحلَ الرَّسولِ وأَدخَلهُ بَيته ، وتَبِعَه الرَّسولُ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّم ـ .

قالتْ ريم : ومنْ هذا الّذى فـازَ بشَـرفِ الضِّيافَةِ يا أبى ؟

قـالَ أبوهـا : إنّـه أبـو أيّـوبَ الأَنْصَـارِىّ - خالدُ بنُ زَيْد - حَفيدُ مالِكِ بنِ النّجّار .

قالَ مُصطفى : لا بدَّ أنّه كانَ سَعيدا !

قـالَ أَبـوه : وأىَّ سَـعادَة ! فسيُشـرِّفُهُ الرَّسول - صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم - بالإِقامَةِ عِندَه ، إلى أنْ يَقومَ الرَّسولُ بِبناءِ المَسجدِ ، وبِناءِ دارٍ خاصَّةٍ لَه .

وأصَرَّ الرَّسولُ - صلّى اللّهُ عليـهِ وسـلّم - أنْ يَنزِلَ فى الطّابَقِ الأَسفَلِ مـن الـدّار ،

واسْتَنكَفَ أبو أيّوبَ ذلك ، فكيْـفَ يَكـونُ هو فى مَكان أعلَى من رَسولِ اللّه ! ولكِـنّ الرّسولَ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسـلّم ـ فضّـلَ ذلك ، حتّى لا يَشُقّ على زائِريه .

ويَحكِي أبو أيوبَ فيَقول : انكسَرتْ فى يَـومٍ مـن الأيّـامِ جَـرّةُ مـاء ، وخـافَ هُـو وزَوجَتُهُ أن ينزِلَ الماءُ على الرّسولِ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ فجفّفا الماءَ بقَطيفَـةٍ هـما ما عِندَهُما غيرُها كانا يَسْتَخدِمانِها كغِطـاءٍ لَهُمـا . فـأصرّ أبـو أيّـوبَ بعـدَ ذلـكَ أن يَـنزِلَ النّبيُّ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ فى الطّابَقِ الأعلَى ، ويَنزِلَ هُو فى الطّابَقِ الأسفَل .

قالتْ ريم : أكانَ أبو أيّوبَ منَ المُسلِمينَ الأوائِل ، الّذينَ سارعوا إلَى الإسْلام ؟

قالَ أبوها : نعم . أسْلَم أبو أيُّوبَ في بَيعَةِ العَقبَةِ الثّانِيَة ، وقد وَهبَ نَفسَهُ وحَياتَهُ مُنذ إسْلامِه لنَشرِ الدّينِ الجَديد ، فكانَ في جَميعِ الغَزَواتِ سَيفًا من سُيوفِ الإِسْلام ، شارك في غَزَواتِ بَدر وأُحُد والخَندَق ، وكانَ في كُلِّ المَشاهِدِ والمَغازي البَطلَ المِقدام ، بائِعًا نَفسَهُ ومالَهُ لِلّهِ ربِّ العالَمين .

ولم يتخلّف أبو أَيّوبَ عن أيّةِ مَوقِعَةِ

للإِسْلامِ أيّامَ الرَّسولِ ومن بَعْدِهِ ، فهو يَذكُرُ دائِمًا قولَ اللّهِ سُبْحانَه وتَعالَى : « انفِروا خِفافًا وثِقالا » .

وخرجَ أبو أَيّوبَ فى عَهدِ مُعاوِيَةَ بنِ أَبى سُفْيانَ فى جَيشِ المُسلِمينَ إلى القُسطَنطينِيَّة ، وأُصيبَ فى المعرَكَةِ إصابةً قاتِلَة . ولكن هل تَعلَمونَ يا أولادى ماذا كانَ آخِرُ طَلبٍ له قبلَ أن يَموت ؟

قال مُصطفَى : ماذا يا أبى ؟ ماذا يكونُ طَلبُ رَجُلٍ قَضى عُمرَهُ كُلَّه فى الجِهاد فى سَبيلِ اللّه ؟

قالَ أَبوه : عــزَّ عليـهِ أن يَمـوتَ قبـلَ أن يَشهَدَ فَتحَ بِـلادِ الـرّوم ، فطلـبَ مـن قـائِدِ الجَيشِ زَيْدِ بنِ مُعاوِيَة ، أنْ يَحمِـلَ جُثمانَـهُ إلى أَبعـدِ مَكـان يُمكِـنُ أن يَصِـلَ إلَيْـه فـى أَرضِ العَـدُوِّ ، حَيـثُ يدفِنُـه ، ثـمَّ يَتقَـدَّمُ بجَيشِهِ علَى نَفسِ الطَّريق ، حتى يَسمعَ أَبـو أَيّـوبَ وهـو فـى قَبرِه ، أصـواتِ جُيـوشِ المُسلِمين وهُـم يَتقدَّمـون ، فيعْلـمَ أنَّهُـم أَدركوا غـايَتَهم ، وكـانَ لهـم النَّصرُ على أَعدائِهم .

قـال مُصطفَـى : أَلِهـذِهِ الدَّرجـةِ كـانَ

حَريصًا علَى المُشارَكَةِ فى المَعرَكة ؟

قال أَبوه : لقد كانوا رِجالاً كـلٌّ غـايَتِهِم نَشرُ الإِسْلامِ فى شتّى بِقاعِ الأَرض .

قالـتْ ريم : أَسْتَطيع يـا أبـى أَن أَسْتَنتِجَ مِـن قِصَّتِـك ، أَنَّ أبـا أيّـوبَ كـانَ رَجُـلا « بَسـيطا » لم يَعـرِف فـى حَياتِـهِ إلاّ اللّـهَ والعِبـادَةَ والصَّـلاةَ والجِهـادَ فـى سَبيلِ اللّه .

قالَ أبوها : هـذا حَقيقىٌّ يـا ريـم ، فقـدْ سَـمِعَ أبـو أيُّـوبَ ذاتَ يـومٍ قَـوْلَ الرَّسـولِ ـ صلّى اللّـهُ عليـهِ وسـلَّمـ فوَعـاه وأَدّاهُ

أحسنَ أداء ، سَمِعَه يَقول : (إذا صلّيتَ فصَلِّ صلاةَ مُودِّع ، ولا تُكلِّمَنَّ بكَلامٍ تَعتَذرُ مِنه ، والزَمْ اليَأسَ مِمّا فى أيْدى النّاس) . فكانَ دائِمًا أبدًا عفَّ اللِّسان ، لا يَنطِقُ إلاّ بخَيْر ، ولا تَهفو نَفسُهُ إلى مَطمَع ، وقَضى حياتَه كُلَّها فى أَشْواقِ عابِد ، وعُزوفِ مُودِّع .

قالَ مُصطفَى : اللّهمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارِكْ على سَيِّدِنا مُحمَّد ، فقد أَوجز تَعاليمَ الإِسلامِ فى كَلِماتٍ قَليلَةٍ شامِلَةٍ جامِعَة .

قالَ أبوه : ألَمْ تَعلَمْ أنَّ اللّهَ

سُبحانَهُ وتعالَى قالَ عنه فى كِتابِه العَزيز « وما يَنطِقُ عنِ الهَوَى . إن هو إلاّ وَحيٌّ يوحَى » ؟